فاذا اتانا ربنا عرفناه فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون الساق فيكشف
عن ساق فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره
طبقا واحدا اذ الحاكم وكلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفع رؤوسنا وقد عاد لنا في صورته
التي رايناه فيها اول مره فيقول انا ربكم فيقولون نعم انت ربنا ثلاث مرات ثم يؤتى بالجسر فيجعل
بين ظهري جهنم قلنا يا رسول الله وما الجسر قال مدحضة مزلة عليه كلاليب وخطاطيف وحسك مفلطحة
لها شوكة عقيفة تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمن عليها كالبرق وكالطرف وكالريح وكالطير
وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم حتى يمر آخرهم
يسحب سحبا فما انتم باشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار واذا راوا
انهم قد نجوا الحديث قوله ونضرب الجسر بكسر الجيم وفتحها لغتان مشهورتان حكاهما ابن السكيت
والجوهري والنووي هو الصراط وقوله فياتيهم الله في الصورة التي يعرفون ليس الاتيان
هنا على المعهود بيننا الذي هو انتقال من مكان لاستحالته وصفة تعالى بها نفسه ويحتمل
ان يكون الاتيان المعهود بيننا خلقه لغيره من الملائكة فاضافه الى نفسه كقوله قطع الامير
اللص وهو لم يقطع بنفسه بل امر به وقوله فيقولون الساق قال الاشعري هو نور
عظيم قال ابن فورك هو ما يتجدد للمؤمنين من الالطاف والفوائد وقال ابو سليمان الخطابي
نهى الشيوخ عن الخوض في معنى الساق واعلم ان الايات والاحاديث التي فيها اتيان الباري
سبحانه وتعالى ومجيئه ونزوله من المتشابهات التي نؤمن بها ونكل علمها الى الله تعالى مع القطع
بالتنزيه عن ظاهرها لاستحالته على الله سبحانه وتعالى او نؤولها على ما يليق بجنابه المقدس بان
المراد اتيان امره كما في حديث ينزل ربنا الى سماء الدنيا وهو ملك ينادي كما ورد في بعض
طرق الحديث وكذا ما ورد في احاديث الموقف من احاديث النداء والصورة فالمراد به ملك
كما في بعض الاحاديث والطلاق مثل ذلك شائع مشهور لغة وعرفا كما ورد انه صلى الله عليه وسلم
اذن مرة في السفر ففهم منهم طائفة انه باشر الاذان بنفسه ورد في طرق هذا الحديث
بعينه انه امر بلالا فاذن فاضاف الاذان اليه لانه الامر به وكما في حديث انه كتب الى قيصر
الحديث بينه بحديث ابن عباس والمراد انه امر بالكتابة فانه لم يكتب بخطه شيئا وهذا نوع من المجاز
مقرر في علم المعاني والبيان قال الزركشي نقل ابو القاسم من اعلام الاصول حديث تجلي الله يوم
القيامة محمول على ان الله يغير ابصار خلقه حتى يروه كذلك وهو عز وجل على عظمته على
عرشه ليعلموا ان الله على كل شيء قدير فان قلت ما فائدة هذا الامتحان وما تحصل هذه
الصورة وبالموت انقطع التكليف وماذا عليهم ان لو قالوا انت ربنا هذه الصورة المعطلة
ام هل سجل عليهم بالكفر بعد ان كانوا مؤمنين بالايمان وهم كافرون مع ان الاخرة ليست
دار تكليف لان التكليف الايمان بالغيب والاخرة دار عيان ولذا لا ينفع الايمان عند الاحتضار

ولا عند

ولا عند طلوع الشمس من مغربها واذا لم ينفع الايمان في الدنيا فكيف ينفع في الاخرة
فالجواب ان ذلك ليس تجديد تكليف بعد الموت اذ المدار على الامر الاول الذي خرج
عليه من الدنيا من ايمان او كفر والذي يقال في الصورة المذكورة يقال في منكر ونكير لانقطاع
التكليف وانما جعل ذلك ليظهر في الموقف حال الطائع وانه لا يهوله شيء من هوله في غاية
من التثبيت وحالة العاصي دالة على ما هو من الزلزال مكون ذلك زيادة في توبيخه وتفضيحه
على رؤوس الاشهاد واظهار الكرامة بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بغيبيات لا يعلمها الا الله
تعالى وكان المذكورون لا يصدقون في ذلك فيظهر صدق جميع ما قاله وما اخبر به وكما
كثر وتعدد ولزم منه تفرده فضله وعلو منزلته واما وصفه بالصورة فقيل يجاب بانه سبحانه
انه تعالى ذو صورة ولا جسم له في ذلك لان الصورة ها هنا يحتمل ان تكون بمعنى العلامة
وضعها الله دليلا على معرفته والتفرقة بينه وبين مخلوقاته فسمى الدليل والعلامة صورة
مجازا كما تقول العرب صورة حديثك كيت وصورة امرك كذا وكذا وقال ابن المنير اختلف
في معنى الصورة فقيل صورة اعتقاد كما تقول صورة اعتقادي في هذا الامر كذا فالمعنى
يرونه تعالى على ما كانوا عليه يعتقدون من الصفات وقال الداودي ان كانت الصورة
محفوظة فيحتمل ان يكون صورة الامر والحال الذي ياتي فيه يقال انا اصف لك صورة هذا
الامر وذلك ان الله تعالى اخبر انهم في ظلل من الغمام او يرون بعض ذلك دون بعض
لانه لا يجتمع ذلك بما شاء في وقت ويظهر في وقت اخر فاذا راوه غير ما قيل لهم وقفوا واما
قولهم اذا جاء ربنا عرفناه قال المهلب ان الله تعالى يبعث اليهم ملكا ليفتنهم عن اعتقاد
صفات ربهم الذي ليس كمثله شيء فاذا قال لهم الملك انا ربكم راوا عليه دليل الخلق الذي
يشبه المخلوقات فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء عرفناه اي اذا ظهر لنا
فياتيهم الله في صورته التي يعرفون اي يظهر لهم في ملك لا ينبغي لغيره وعظمته سبحانه لا يشبه
شيء من مخلوقاته فيعرفون ان ذلك الجلال والعظمة لا يكون الا له لا لغيره فيقولون انت ربنا
الذي لا يشبهك شيء فالصورة يعبر بها عن حقيقة الشيء وقال قوم يحوزون لما ارسل ما صلاهم
بالسيف حمرا الى النعلين اي اعطى السيف لحمزة قوم منا فقوي
عظم الخوف على انفسهم واهليهم واولادهم واموالهم لما ناطهم خلاف ما في الجوف اي اظهروا
الاسلام واخفوا الكفر فكانوا المنافقين في ستر فعصموا انفسهم بسبب ذلك لهم من حيث لا يعصمون
وانما سمي فتانا القبر لان في سؤالهما انتهارا او في خلقهما صعوبة سميا منكرا ونكيرا لان خلقهما
لا يشبه خلق الادميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم بل هما خلق بديع وليس في خلقهما انس للناظرين

ولا خلق الهوام

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)